وساط مبارك

قصائـد

أشـجار

في ساعاتِ الفجر المشوهة برعب قديم
ملأ تم الفضاء بضحكات ميّتة
ونمم في حقول مظلمة
بين
أشجار تنهار في صمت
وشطآنٍ تمتد على صفحات أيديكم
حتى نهايات الأفـق

الآن
تقبل أحلام تغص بالبكاء
تخترق رؤوسكم المليئة برماد العشب
والزمن
يزحف إليكم على أكتاف الأجداد
ولسم مع ذلك مكرهين على الانتظار
ولا مستشعرين وخزة الألم، فأنهارُ
الحقيقة العمياء التي أغرقتكم في
نوبة صراخ
ستجف إلى الأبد.

مزيدا من الضوء !

الألم ذاته من نشيد لآخر، يلتذ بلعبة المباغتة
الخمرة ذاتها من يد لأخرى، تنبش صحارى الروح، صحارى
الجسد
رياح غريبة ستهب في الغرف
تلعق جراح الفجر الصامت في عيوننا
أخفينا أيدينا في تجاويف الصخور الليلية، لنلمس قلب
الانسان، دافعين بالحذر حتى النهاية
نثرنا أزهار الخريف الميتة على الموجة التي جاءت
لتهدهد غضبنا
ولم تجد غير رمال الذكرى
الهذيان ذاته من يوم لآخر، حين يقذفون بالجثة للبحر،
قبل أن يصل حامل النصيحة
محمولا على الصليب
أذكر أنّا صعدنا أعلى قمة في الجبل
هناك كانت غربان وحشية تفترس ولعنا بالصباح
فتحنا أبوابنا لشمس ضريرة، وكانت المرافىء تشتعل
لذلك،
قلنا وداعاً لبصيرة صارت لحداً،
ومضينا،
معلقين من عظامنا
مرجئين الصراخ لمشهد الهروب الأخير
(وآخرون
إرتجلوا شيخوخة مفصوبة

من أجل سكينة مبتذلة)
أذكر أيضا سفراتي عبر جبال زرعتها باللهاث
ناقلا الضوء من عين لأخرى
مبعثرا شهوة الحلم في رماد الأيام
ومن ننهف لأخر
كنت أغلق باب المصادفة
أفتح باب السؤال

فمتى نعلن مزيدا من الضوء ؟

حـلم

ثمة أقاليم منسية نحلم أن نبعثها في ذاكرة الارض
ثمة أقاليم منسية كغيوم بلا أجنحة، سنجمع أمتن الحبال و
سلالم الاستكشاف
لنعبر إليها
ونطرق أبواب الولادة بعكاز حكمة مجنونة
بقبضة الدم النافر
ثمة حمام للمصادفات،
ستنتشي بظلالنا حين ننفض عنها غبار الطريق
وغضي
مهتدين بنجمة في القلب
ثمة ألسنة اللهب الراقص على أهدابنا بمهارة بهلوان
هل هي إلا بريق حلم ؟

مساءات ماطرة.....

مَساءاتٌ ماطرةٌ.
حُطامُ الثَّرى المبتلِ يخفقُ على قدمي
ورمادُ الأزقة.
يلفُ عينَا وحُضرَة الشَّواطيء.
قُلوبُنا المُنتفخةُ بالتعبِ
المسكينةُ رغم ذلك
تتقصَّى أثَر الهديل
على بوَّابات التعب
بداخلِها عطلُ أمطارُ الكآبة
القِططُ الوحشيَّةُ تتزَحلق
على جَليدِ ساحات المدينة
المُسيَّجةِ بقهقهاتٍ هوجاء.
ككُلِّ مساء
أسيرُ حاملا أكاليلَ لمآثر الرُّوحِ المطمورةِ
أُصغي لهُتافِ الدَّم وأرَى
قُوهاتِ العتمةِ الصَّدِئة
مُصوَّبةً لوردِ حُطانا البَارد.
وإذْ أحضُن خجَلَك الجَميل بأصابعَ عمياء
نضطَجعُ سَويًّا على سُرَرِ الرَّغبةِ
المقضومة بأسنان الأنهار.
نقضي الليل في الرَّحيل
بين الخطوة والخطوة، أنقاض حلم.
أيتها الغريبة،
يا من لامتداد صمتِها بياض الثلوج.
إني رفيقك
على سُفني المثقلَةِ بموتكِ
انتقيتُ غرقي
مُرجئاً رجفة التلاشي
وعلى جُزُركِ النَّابضة بصفير موتي
تركتُ أشرعةَ طفولتي
وأتيتُ
مبهوراً ببهاء الجرح
أُعبِّيء مجذافا للوهم

(ورأيتكِ في باحة مقهى، امرأةً من ضوء
تغتسلين من هذيانك
بأمطار هذا المساء)
أيتها الغريبة
من أجلي
ستحملين شارة الحداد.
(أعرف،
أعرف أيضا أنَّ منّا من سَيُجَنُّ
بسبب ضيقِ الشوارع التي
يُطارِدُ فيها جنونَه).

لم أكُنِ وحدي الحالمَ، العاصفةُ أيضا كانت هناك. من أجلها تستَّرنا بالخطيئة
الخطيئة، مقبرة السؤال
العالق بحناجرنا كطعنة
ككوابيس نهر مجنون
لا نعبره إلا حين يكون لسفراتنا
الخيالية زوارق مذعورة.

لفرحنا الأعمى، إختلاجُ الدّم.
لطيور النّوم الزرقاء، دهشةُ الاختفاء بالمَثيل.
للجوّ هذا المساء، حُمُوضةٌ تخدِشُ خدي.
لغيمة الأسى الورديّة، عنقُ طفلةٍ قنفر.
لأصابعي، موجةٌ تسحبها نحو البحر.
لضحكنا، منحدرات اللّهاث الوعرة،
والصّخب ينسدل عميقا في الرأس
والأنوار تلحس أكتافنا.
لسهراتنا، مناضد مكتظة بالأرق.

هو ذا نذير الفتنة ← وَ
ليس بين صمتي وشعائر الابادة غير فجرٍ له بشرةُ الأرض، والدّم الذي هو فجر أقلّ
كثافة وأكثر غبشاً، يرقرق مراياه بين القلوب والجسد.
ثمة أهازيج، ثمة صراخ
وأشجار في البعيد.
ثمة فاجعة في ثنايا النوم
أصوات لأجل التمويه
وأنفاق مغروسة بالأصابع.
أيتها التصال المقدمة على أطباق من فضة

عن مسالك النهب العظيم، عن جثثٍ مأخوذةٍ بدوارِ التجاهُل، حدّثينا
حين نقف أمامك حَيارى، ومع ذلك كاشفين عن ألفتنا، مُقترفين زلّة الصّعود
رافعين بيرقا من النجوم، وحلم الشاعر بالمجد، وطموح الغزال إذ يرتع في البرية.

(نسير في الدروب الخلفية، على ألسنتنا طعم المنفى.)
لنحبَّ هذه المهاوي كثيرا.
لنبعثَ الادمان على الجمرة، ونلتقط
أيتها الغريبة في اكتمال زينتها
أحزانك المنثورة في جنائن تغفو منذ لحظة.
لنا صبوات محكمة الوثاق، سلالم لأجل الغياب
ولك حقول الخريف الزجاجية،
حيث شظايا الروح مُضاءة ببصيص النسيان اليومي.

عبر أروقة الفجر اللّا نهائية
نرحل مع نسوة شاحبات
ورنح هذا المساء
التي تعبث بشعرهنّ
ذي الحفيف المائي.
في كلّ الأقاليم،
مررنا بشعراء بلا وجوه
يحلمون بقمر ميت
تبكيه بجعة وحيدة.

لم أكن وحدي الحالم.

آه،
إنتظري أيتها الشمس، إنتظري وصول دمي.
من هذا الذّهول، لم أرتوِ بعد.
أمضي في شوارع المدينة :
إسفلت مشنوق على فراغات الماء.
أمضي.
البازالت يفتح ذراعيه.
أملأ الخُطوة بانكسار الدّمع.

حين أنهي هذه القصيدة
وتنطفئ سهامُ الشّعر
سأرتو لها طويلا

بارتعاشةٍ في النظرة،
ووردة بين أصابعي.

وساط مبارك

جليل حيدر

قصائـــد

1 ــ « حقائب للخروج والأرْصِفَة »

مِعَدٌ، وجَزائرُ خالِيَةٌ، تطْفُو مَا بَيْنِ القَلْبِ وأحْبَابِي.
مِعَدٌ فِي مُنتَصَفِ اللَّيْلِ، بَقَايَا زَوْبعةٍ، وعلى قَلَقٍ تَكْبُرُ أشجارُ الدَّفْلَى فِي الخَامِسةِ صَبَاحاً، معَ سِيكارَتِنا وبخُارِ الشَّاي، على قَلَقٍ والصُّبْحُ شِتَاءٌ، ومَلابِسُ غالِيَةٌ، وعَلَى قلقٍ ذَهَبَ الوَقْتُ إلَى السَّاعة (كَانَتْ عَمْيَاءَ) عَلَى قَلَقٍ وخُروجٍ وحَوَابِي.
زُمَرٌ مِنْ حَيَوانَاتٍ هَارِبَةٍ، زُمَرٌ مِنْ شَجَرٍ، وأمَاطِرَ مُبَجَّلَةٍ ورَوَابِي.
زُمَرٌ للأفْكَارِ وَهَيْبَتِها، تُفْقِسُ مقتلةً، تُخْتَلُّ رَصِيفاً،
زُمَرٌ بآليَةٍ
وَحَقَائبُ خالِيَةٌ
تَبْتَعِدُ..

2 ــ «ثواني المطـر»

مَطرٌ للنَّوافِذِ، لِلنَّوْمِ

أوْ
لِلأغَاني.
مَطَرٌ لِلصَّغِيرَة تَقْضِمُ أظْفَارَهَا
في صَبَاحٍ حَزِين
مَطَرٌ
لِلْعَلاَمَاتِ تَفْلِتُ فِي زُحْمَةِ
وَطَرِيقٍ،
تَغِيبُ أنَامِلُهَا
مطرٌ للثَّوَانِي.
مطرٌ هَادِئَةٌ فِي زوايا المصير
في الأسِرَّة أوْ
في الضَّمِير
مطرٌ.

3 — «قَتْلُ الزَّهـرة»

السَّلالمُ خاليةٌ
من النور، والثَّوبِ، والخَطَواتِ
ورائحة النَّـوْمِ العاطِلاتِ
تُغيِّرُ آثارَنا القاذِفة .
وفي بَاحةِ الطُّمَأنِينَةِ يَتْكيءُ الانتِظارُ
طويلًا، طويلًا
أُرَاقِبُ زَهْرَتنا الثَّادِمَة
طويلًا
طويلًا
طويلًا
فَيَقْطفُها شـحّ

وَيَسْحَقُهَا بِهُدُوءٍ عَجِيبْ !

4 — «بيجامـا»

مَشَتْ في الصباحْ
كانَ بداخلِها رَجُلٌ في الثَّلاثِينَ —
يُشْبِهُ الشُّرْطَةَ
أوْ رِياحْ.
مَشَتْ نَحْوَ غُرْفَتِهِ فالْطَوَتْ
سنينْ
وأضْرِحَةً
وَرَنِينْ.
بَقَايَا صِيَاحْ.

بيروت — أيار — 1980

المهدي أخريف

1/ الطَّـرَقـات

— 1 —
مَكَانَ الشَّجَراتِ